المحاضرة الثانية

عنوان المحاضرة

علاقة الثقافة الإسلامية بغيرها من المصطلحات وخصائصها

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

علاقة الثقافة بالدين

تدور بالساحة الثقافية جملة من المصطلحات وثيقة الصلة وقريبة الشبه بمصطلح الثقافة، بل يحدث بينها كثير من الخلط والتداخل، منها «الدين،الحضارة،العلم،الفكر،المدنية » :

أولاً: علاقة الثقافة بالدين:

للدين معان كَثِيرة في القرآن الكريم: منها الجزاء على الأعمال، والحساب عليها، والطاعة، والعبادة، والإخلاص له سبحانه، والإسلام، والمعتقد، والملة.

وفي المعجم الوسيط: الدين: والديانة اسم لجميع ما يعبد به الله، والملة، والإسلام، والاعتقاد بالجنان، والإقرار باللسان، وعمل الجوارح بالأركان، والسيرة، والعادة، والحال، والشأن، والورع، والحساب، والملك، والسلطان، والحكم، والقضاء.

والدين مهيمن على تكوين الثقافة، والثقافة عاملة في رصد إنزال نصوص الدين منزلتها، فالدين - سواء أكان ابتكارًا بشريًا "كالديانات الوثنية"، أم وحياً إلهيًا – يمثل القاعدة الأساس للاتفاق الاجتماعي بين الجماعة المؤمنة به، والحالة كذلك؛ فالدين هو عمدة النظام الإدراكي والنمط القيمي والسلوكي "الذي هو لب الثقافة" ولا يعني هذا أن لكل ثقافة دينًا أو أن لكل دين ثقافة، بل الملاحظ أن هناك عدة عقائد تتضافر لإنشاء ثقافة واحدة، فالهند خير مثال على ذلك. فالدين الواحد قد يكون مؤثرًا في تكوين عدة ثقافات، وذلك حسب نطاق هيمنة الدين كشريعة تغطى مجالات الحياة، ومن جهة أخرى حسب انتشار هذا الدين وتغلغله في نفوس الأفراد، وبين أفراد الجماعة. لذا فإنا في حديثنا يجب أن نميز بين نوعين من الثقافة: الثقافية القومية النابعة من البيئة والمجتمع بعاداته وتقاليده، والثقافة الدينية التي مركزها العقيدة والفكر والشريعة، ولا شك أن الظاهرة المعاصرة - العولمة - تهدد الثقافة بنوعيها.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

علاقة الثقافة بالدين:

والمقطوع به أن للإسلام ثقافته، فإنه قدّم للبشرية المنهج الذي ينظم الجوانب المختلفة في الحياة البشرية في كافة المجالات.

- **وجه التشابه اللغوى بَيْنَ الثقافة والدين:**

من معاني الثقافة التهذيب، أما الدين فَهْوَ الطاعة، والعبادة والاخلاص، وَهَذَا جزء من تهذيب النفس الإنسانية، وَهَذَا هُوَ وجه التشابه اللغوي بَيْنَ الدين والثقافة.

- **أوجه الاختلاف بين الثقافة والدين:**

هناك علاقة كبيرة بين الثقافة والدين، فالدين هو أهم مصادر الثقافة عند الشعوب، بل إن الأمم والأفراد يتأثرون ثقافياً بالدين، وإن لم يكونوا متدينين، فالقيم، والأخلاق، والنظرة إلى الحياة تستمد غالبية مفرداتها من الدين. ومع ذلك فهناك بعض الاختلافات بين الثقافة والدين، ومنها:

أ- الثقافة هي عملية تفاعل مستمر بين الإنسان، والمعطيات المحيطة به، ويشكل الدين أحد أهم مصادر الثقافة في وعي الإنسان، بينما لا تشكل الثقافة مصدراً للدين.

ب- الدين مصدره إلهي، بينما الثقافة تشمل المصدر الإلهي من خلال أخذها من الدين، وما ينتجه البشر من معارف، ومنتجات معنوية مختلفة.

ج- ما تنتجه الثقافة قابل للرد والأخذ، بينما الدين يعطي إجابات مطلقة، مع أن فهم نصوص الدين يتشابه مع الثقافة في أنه يخضع للأخذ والرد، والمناقشة، والتجديد.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

علاقة الثقافة بالحضارة

ثانيًا: علاقة الثقافة بالحضارة: لتتضح العلاقة نبدأ بالتعريف بالحضارة:

1- الحضارة في اللغة: جاء استعمال كلمة الحضارة ومشتقاتها في لغة العرب ليفيد عدة معان منها: الحضور نقيض المغيب والغيبة، وتأتي بمعنى عنده: كنا بحضرة ماء، وتأتي بمعنى قرب الشيء: كنت بحضرة الدار، وتأتي بمعنى جاء أو أتى: حضرت الصلاة، أو حضر القاضي، والحضر خلاف البدو، والحضارة الإقامة في الحضر،والحاضرة: الحي العظيم، والحاضر: ضد المسافر، وتأتي حضر بمعنى شهد، كقوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: 180]

2- الحضارة في الاصطلاح: تعرف الحضارة بأنها الفنون والتقاليد والميراث الثقافي والتاريخي ومقدار التقدم العلمي والتقني الذي تمتع به شعب معين في حقبة من التاريخ.

وقيل: الحضارة جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع أو مجتمعات متشابهة.

ويعرف ولديورانت الحضارة بأنها: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، وتتألف من أربعة عناصر: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإبداع والإنشاء وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

بين الثقافة والحضارة والمدنية

ويلاحظ أن تعريف ولديورانت جاء جامعًا ومعه شرحه، فالحضارة بمفهوم شامل تعني كل ما يميز أمة عن غيرها من حيث العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والملابس والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية وقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون والآداب والعلوم.

3- الفرق بين الحضارة والثقافة:

الحضارة: هي المجهود الإنساني للسيطرة على الطبيعة، بينما الثقافة هي مظاهر الحياة الروحية والأخلاقية التي تسود المجتمع، أي أن الثقافة تعبر عن المظهر الروحي للمجتمع، بينما تعبر الحضارة عن مظاهر التقدم التكنولوجي، والحضارة تتناول جملة من مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى آخر في جوانب الحياة المادية.

والثقافة: هي جملة العلوم والمعارف التي يطلب الحذق فيها، فالثقافة تهتم بالجوانب المعنوية والحضارة ألصق بالماديات، وهذا الفرق في الجانب النظري فقط.

أما في الجانب العلمي: فهما يرتبطان مع بعضهما ارتباطاً وثيقاً، لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها وفكرها وأسلوب حياتها، فالثقافة والحضارة متفقان من هذه الناحية، **فالثقافة هي المظهر العقلي للحضارة، والحضارة هي المظهر المادي للثقافة.**

ثالثًا: علاقة الثقافة بالمدنية: المدنية والثقافة هما جناحا الحضارة بمضمونها الفني المعروف عند علماء الاجتماع؛ فالحضارة هي: **((الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة، وهي مجموع الحياة في صورتيها المادية والمعنوية))** .

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

بين الثقافة والعلم

رابعًا: الثقافة والعلم:

العلم يمثل: مجموعة الحقائق التي توصل إليها العقل البشري في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن، والمحررة بالامتحانات المتكررة؛ فلا تختلف بتفاوت الأذواق، ولا تتغير بتطور المصالح.

فالعلم مشترك عام بين الحضارة والمجتمعات، أما الثقافات فتتميز بتميز الحضارة نظرًا لتميز المكونات والمواريث والعقائد والفلسفات والعادات والأعراف، والتي ميزت بين البصَمات الثقافية في أمم هذه الحضارات.

والعلم جملة من المعارف المتنوعة التي يحصل عليها المتعلم، والثقافة كذلك، فتقوم العلاقة بينهما على التشابه والتكامل.

والثقافة تتميز عن العلم بالتنوع والشمول، فمن أخذ شيئاً من كل شيء فقد أصبح مثقفاً، وأما العلم فيتميز بالتخصص، فمن أخذ كل شيء تقريباً من شيء واحد فقد أصبح عالماً.

والثقافة طابعها شخصي تختلف من ثقافة أمة لأخرى فثقافة الوثني والنصراني والهندوسي وغيرهم تختلف عن بعضها البعض، لأن كل ثقافة تستمد عناصرها من تصورها الديني في المقام الأول.

أما العلم فهو ذو طابع موضوعي تتحد فيه النتائج.

وجه التشابه اللُّغَوِي بَيْنَ الثقافة والعلم: من معاني الثقافة إدراك الشيء، ومن تعريفات العلم أنه إدراك الشيء بحقيقته.

نقاط الاختلاف بَيْنَ الثقافة والعلم:

أ- الثقافة هي ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة، ومعبر عنها، بينما العلم عالمي، ليس له هوية محددة.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

الثقافة والفكر

ب- العلم يتعامل بالمحسوسات، وهو قابل للقياس، على عكس الثقافة التي تبحث في الوجود، والمعرفة، والقيم، وكلها لا تقبل القياس.

ج- الثقافة أوسع من العلم، والعلم جزء منها.

د- تساهم الثقافة في رقي الجانب المعنوي في الحياة، بينما يعمل العلم على التقدم في الجانب المادي.

هـ - يستعمل العلم في الخير والشر، ولكن الثقافة تسعى إلى عمل الخير، وتنمية ملكاته في إطارها العام.

و- العلم يقدم للبشرية ما يعلمها ويعدها لتكوين العقل ضمن منهجية تعليم خاصة، أما الثقافة فإنها تكون الفرد في مراحل حياته، وبطريقة تلقائية في غالب الأحوال، فالإنسان يتعرض للثقافة حتى وهو يمشي في الشارع.

خامسًا: الثقافة والفكر: يمكن أن نصف العلاقة بين الفكر والثقافة بأنها: علاقة العموم والخصوص الوجهي، فهما قد يلتقيان ويدلان على شيء واحد، في حين قد تنفرد الثقافة بشيء، وينفرد الفكر بشيء.

فالفكر يعد أحد المكونات الثقافية بوصفه عملية عقلية أو باعتباره المنتج العقلي في سياق منطقي لجماعة بشرية، بل الفكر هو المرتبة العالية من الثقافة، أو هو المستوى العالي من العمل العقلي والذهني لكن في ذات الوقت قد يكون الفكر أساسًا لثقافة تُبنى عليه ويسهم في تشكيلها وتوجيهها.

أما إذا نظرنا إلى طريقة عمل العقل كعملية فسيولوجية فإن الفكر يفارق الثقافة من هذه الجهة، وإذا نظرنا إلى الثقافة بمحتواها الشمولي للعقائد والأفكار والعادات والأعراف وطرق الحياة المختلفة، أو بوصفها "نظامًا للإدراك الجماعي ونمطًا قيمياً وسلوكيًا" ، نجدها تتميز عن الفكر.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

خصائص الثقافة الإسلامية

أولاً: انضباطها بالوحي.

ثانيًا: ثقافة بناء لا هدم.

ثالثًا : إنصاف الخصم.

رابعًا : الإنسانية.

خامسًا : الواقعية.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

أولاً: انضباطها بالوحي:

ثانيًا: ثقافة بناء لا هدم:

تتميز الثقافة الإسلامية بخصائص متعددة بعض منها اكتسبته من خصائص مصدرها الأساسي وهو الإسلام كانضباطها بالوحي والعالمية والشمول والواقعية والتوازن والجمع بين الثبات والمرونة؛ وبخلاف هذه الخصائص فهناك خصائص أخرى تميزت بها عن غيرها من الثقافات ومنها :

أولاً: انضباطها بالوحي: الثقافة الإسلامية منضبطة بالوحي الإلهي مرجعًا وحاكمًا، فهي لم تنحرف عن الحق.

الثقافة الإسلامية مصدرها الأول الوحي متمثلا في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فهي تدور في فلكهما لا تحيد عن اتباعهما أمرًا ونهيًا.

والثقافة الإسلامية لما عصمها الوحي الإلهي من الخوض في عالم الغيب الذي لا طائل للعقل البشري من البحث فيه انطلقت تبحث في عالم الحياة التي يعيشها البشر فأثمرت ذلك العطاء الذي انتفع به من يدين بالإسلام ومن لا يدين به في مشارق الأرض ومغاربها.

ثانيًا: ثقافة بناء لا هدم: الثقافة الإسلامية تقوم على البناء، ومثال ذلك: بعد أن جمع الإمام البخاري الأحاديث الصحيحة في كتابه الجامع الصحيح تلقته الأمة بالقبول واهتمت به وعكف على شرحه كثيرون في القديم والحديث منهم القسطلاني والعيني وابن الملقن وابن حجر وغيرهم، وما زالت الدراسات تقوم حوله، ومثل ذلك فعلت الأمة مع صحيح الإمام مسلم حيث شرحه النووي والسيوطي وغيرهما وما زالت الدراسات تقوم حوله خاصة في بلاد المغرب العربي.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

ثانيًا: ثقافة بناء لا هدم:

ثالثًا : إنصاف الخصم:

وتراث الأمة في فقه المذاهب خير شاهد على البناء فاللاحق يشرح ما كتبه السابق ويعضد رأيه ويقويه ، وهكذا في سائر فنون العلم حتى لا يكاد كتاب مشهور إلا وقامت حوله تصانيف متعددة إما بالشرح أو الاختصار.

وعندما قام المسلمون بترجمة التراث اليوناني لم يكونوا مجرد نقلة للعلم ولا نقدة فقط ينقدون ويهدمون كل ما جاءهم، ولكنهم قاموا بترجمته وانتفعوا ببعضه وردوا ونقدوا ما يتعارض مع معتقداتهم الدينية ، وهذا شأن المسلم في كل وقت من أفكار الأخرين ينتفع بالحسن ويرد الضار.

ثالثًا : إنصاف الخصم:

ثقافتنا تقوم على مبادئ علمية ومنهجية بالغة القيمة مثل:

- الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.
- إمكانية تعدد الصواب .
- احتمال صواب المخالف.
- الحكمة ضالة المؤمن؛ أينما التمسها فهو أحق الناس بها .

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

ثالثًا : إنصاف الخصم:

ليس هذا فحسب بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى إنصاف الخصم، فلا يتوقف الأمر على قبول رأي المخالف وإنما إنصافه .

ومصدر ثقافتنا الأول - وهو القرآن الكريم - يحمل نماذج لإنصاف الخصم، منها قول الله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [المائدة: 2] وقوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة:8]

* وقد عرض القرآن لنماذج فيها غاية الإنصاف للخصوم منها:

1 - حديث القرآن عن ملك مصر في عهد نبي الله يوسف - عليه السلام : فمع أن القرآن لم يذكر أنه آمن بدعوة يوسف - عليه السلام - إلا أنه ذكر عنه أنه أمر بفتح تحقيق جديد في القضية التي سجن بسببها يوسف - عليه السلام - مع أن القضية كانت ضد نسوة كبار المجتمع حتى ظهرت براءته، وكذلك وضعه ليوسف على كرسي الوزارة مع أنه غريب ليس من أهل مصر ورقيق عند أحد وزرائه.

2 – حديث القرآن عن ملكة سبأ: فقد تحدث عن عقليتها التي فاقت عقول الرجال من حاشيتها، وتحدث عن حسن تصرفها وصواب رأيها وتنجيتها لقومها.

3 – لا يوجد كتاب في الدنيا سجل اعتراضات الخصوم كالقرآن الكريم؛ فقد سجل اعتراضات الذين تطاولوا على الكتاب وصاحب الكتاب ورب الكتاب، وردَّ عليها قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [النحل: 103] (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34)) [الطور: 30 - 34]

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6)) [الفرقان: 4 - 6] (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8)) [الأحقاف:8]

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [آل عمران:181]

4 – لم يكن إنصاف الخصم مجرد شعار براق تردده الأبواق دون أن يكون له أثر تطبيقي في الواقع، وإنما كان إنصاف الخصم واقعا تطبيقيا جاء به نص في القرآن الكريم، فقد نزلت تسع آيات في سورة النساء لتنصف رجلا يهوديا وتبرئه من تهمة يقول الله سبحانه : { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (110) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (112) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)}[النساء: 105 : 113]

إنه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة التي تحويها جعبتهم اللئيمة على الإسلام والمسلمين، وينشرون الأكاذيب، ويؤلبون المشركين، ويشجعون المنافقين، ويرسمون لهم الطريق، ويطلقون الإشاعات،

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

ثالثًا : إنصاف الخصم:

ويضللون العقول، ويطعنون في القيادة النبوية، ويشككون في الوحي والرسالة، ويحاولون تفسيخ المجتمع المسلم من الداخل، في الوقت الذي يؤلبون عليه خصومه ليهاجموه من الخارج.

في هذا الوقت الحرج، شديد الخطورة كانت هذه الآيات كلها تتنزل، على رسول الله ﷺ وعلى الجماعة المسلمة، لتنصف رجلاً يهوديًا، اتهم ظلمًا بسرقة، ولتُدينَ الذين تآمروا على اتهامه، وهم بيت من الأنصار في المدينة، والأنصار يومئذ هم عدة الرسول- ﷺ - وجنده، في مقاومة هذا الكيد الناصب من حوله، ومن حول الرسالة والدين والعقيدة الجديدة.

رابعًا: الإنسانية:

تميزت الثقافة الإسلامية بنزعتها الإنسانية، فحمت الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية والعصبية وأحيت أجواء الحب والتسامح والتعاون والتساوي، وفي كيان المجتمع تساويًا لا أثر فيه لاستعلاء عرق على عرق، أو فئة على فئة أو أمة على أمة، وهذه حقيقة أقرها القرآن العظيم : { يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)} [الحجرات: 13] ، فالأصل البشري لأبناء البشرية قاطبة هو أصل واحد، ومهما تفرق الناس بعد ذلك إلى أمم وقبائل وبلدان وأجناس فإنما هو كتفرق البيت الواحد والإخوة من أب واحد وأم واحدة، وما كان كذلك فسبيل هذا الاختلاف في أجناسهم وبلدانهم أن يؤدي إلى تعاونهم وتعارفهم وتلاقيهم على الخير.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

رابعًا : الإنسانية:

وقد ترفع الحياة بعد ذلك أفرادًا وتخفض آخرين، وقد تغتني فئات ويفتقر كثيرون، وقد يحكم شخص ويخضع شعب، وقد تبيض بشرة أقوام وتسود ألوان أمم أخرى.

إنَّ هذا، وإن كان من سنة الحياة بل من نظامها الذي لا يتبدل؛ فليس من شأنه أن يميز من ارتفع على من اتضع ، ولا من اغتنى على من افتقر ، ولا من حكم على من خضع، ولا ذا اللون الأبيض على ذي اللون الأسود، فالكل سواء عند الله في آدميتهم وإنسانيتهم، ولا تمايز بينهم إلا بالتقوى، وقد قامت ثقافات على أساس اللغة أو الجنس البشري كالفرعونية والفينيقية واليونانية والرومانية وغيرها، ولكن الثقافة الإسلامية قامت على أساس المعتقد الديني الذي آمنت به طوائف شتى مختلفة في الجنس واللغة فتنوعت اللغات والأجناس في الثقافة الإسلامية ، بل إننا نلحظ أن كثيرًا ممن شاركوا في إقامة صرح الثقافة الإسلامية لم يكونوا من العرب بل كانوا من جنسيات مختلفة، انصهرت جميعها تحت رابطة الإسلام فكانت ثقافة إنسانية لجميع بني الإنسان.

وقد عرف العالم مذاهب وفلسفات تباينت وجهاتها في النظرة للإنسان، ووصل التعارض إلى حد التضاد في الرؤى والأفكار، وتمثلت هذه النظرة في اتجاهين :

الأول : اتجاه يؤله الإنسان ويجعله إله نفسه فلا رب ولا شرع ولا حساب.

الثاني : اتجاه آخر ينظر للإنسان على أنه حيوان متطور أو منتج أو اجتماعي ، ومن زاوية الحيوانية ينظر إليه ويتعامل معه ويفسر سلوكه.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

من مظاهر التكريم:

أما الإسلام فينظر للإنسان على أنه مخلوق مكرم، عبد لله وحده وسيد لما بعده ، عبدٌ يلتزم بأوامر ربه وينتفع بكل ما سخر له في الكون .

من مظاهر التكريم:

1 – الاستخلاف في الأرض لعمارتها: وهي مكانة طلبتها الملائكة فمنعت منها وأعطيت للإنسان، ولذا زوده بالعقل والعلم ليحقق ذلك {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) } [البقرة: 30]

2 – خلقه في أحسن تقويم: قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64)} [غافر: 64] { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) } [التغابن:3] { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) } [التين: 4].

3 – تمييزه بالعنصر الروحي: قال تعالى:{ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9)} [السجدة: 7 - 9] فالإنسان نوع متفرد متميز عن سائر المخلوقات بأن فيه نفخة من روح الله .

4 – تسخير الكون لخدمة الإنسان: الكون كله مسخر لخدمة الانسان، فالإنسان عبد لله وحده وسيد لما بعده ، فالكون في خدمة الإنسان ليسعد في الدنيا ويحقق الغاية من خلقه وهي عبادة الله وحده ، قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)} [إبراهيم: 32، 34]

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

5- إلغاء الوساطات والحواجز بين الله والإنسان في شريعة الإسلام:

وهذا تكريم آخر للإنسان المسلم، فإنه متى أراد أن يدعو ربه ليغفر ذنبه ويقضي ويسد حاجته، ما عليه إلا أن يرفع يديه إلى مولاه، فليس هناك حاجة إلى من يتوسط بينه وبين الله عز وجل، كما تفعل المسيحية التي تمنح الكهنة والرهبان حق إصدار صكوك الغفران للناس نيابة عن رب العباد، فتجعل سعادة البشرية مرهونة بأفراد معينين، يكونون حاجزاً وحجاباً بينهم وبين ربهم ومولاهم سبحانه، قال تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) } [البقرة: 186]

6 - أكد الإسلام على كرامة الإنسان وحرمة دمه وماله وصيانة عرضه وقرر ذلك رسول الله ﷺ حين خطب الناس في حجة الوداع أمام الحشود الهائلة فقال :

«إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ » قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ البَلْدَةَ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ».

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

خامسًا : الواقعية:

خامسًا : الواقعية:

تتميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات بأنها ثقافة واقعية، بمعنى أنها: «تتعامل مع الحقائق الموضوعية، ذات الوجود الحقيقي المتيقن، والأثر الواقعي الإيجابي، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات لا وجود لها في عالم الواقع ».

إنها ثقافة واقعية تصور الأشياء تصويرًا واقعيًا، وتسعى لوضع منهج واقعي في التعامل مع كافة القضايا، فهي لا تفترض تصورات ذهنية مجردة عن الواقع، أو يصعب تطبيقها في العالم الخارجي؛ ولكنها تستمد صفات الأشياء من خلال منهج واقعي يراعي جوانب الخير والشر ويضع لكل حالة ما يناسبها.

وتتجلى واقعية الثقافة الإسلامية في تصورها للكون والإنسان والمنهج الذي يحكم حياة الإنسان؛ حيث إنها تقدم منهجًا واقعيًا شاملاً للحياة البشرية فوق الأرض، هذا المنهج يعالج القضايا المتصلة بالكون والإنسان والحياة، في صورة متناسقة لا تصادم حقيقة هذه المجالات.

فليس في الإسلام تصورات خيالية يعجز المكلف عن تطبيقها، هذا بخلاف الثقافات الأخرى التي تقع في أخطاء فادحة في نظرتها للإنسان، وتفسيرها لميوله ورغباته وعدم مراعاتها لواقع الإنسان من حيث تكوينه وطبيعة غرائزه، ولذلك ينفر أبناؤها من هذه التصورات ـ تحت ضغط الواقع ـ نظرا لمخالفتها لطبيعة الإنسان والحياة.

بَيْد أن الواقعية التي تتسم بها الثقافة الإسلامية: لا يُراد بها الرضا بالحال التي عليها الإنسان عند سموه وانحداره، ولكنها تراعي ظروفه التي يمر بها، فتدفعه لمزيد من الثبات والترقي حال سموه وتفتح له باب الرجوع عند انحداره، وهذه النظرة الواقعية قَلَّ أن توجد في الثقافات الأخرى.

كذلك من أبرز ما يظهر هذه الواقعية في الثقافة الإسلامية، تواصلها مع الثقافات الأخرى، حيث إن الإنسان هو الإنسان في كل زمان ومكان، ومن ثم فإن له نتاجًا معرفيًا ينبغي الإفادة منه، وبالتالي فثقافتنا تتوقع صدور العلم والخير من أي إنسان ومن هنا

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

فإنها تدعو لقبوله والأخذ به.

وإذا كانت الثقافة الإسلامية تتسم بالواقعية، التي تنفي عنها الخيالية والتجريدية النظرية، والتصورات الوهمية، فإن ذلك لا ينفي كونها ثقافة مثالية تدعو للسمو الإنساني الذي يحلق بالفرد في مراتب الكمال في إطار إمكاناته وطاقته التي وهبها الله إياها، وهي ليست خيالية فهي لا تصور للإنسان نموذجًا يصعب الوصول إليه، بل تضع له ما يساعده على الرقي الإنساني في شتى المجالات، فهي واقعية تطمح للمثالية بعيدا عن الصورة الخيالية التي لا رصيد لها من الواقع.

وهذه الواقعية التي تتميز بها الثقافة الإسلامية تُكسب الفرد الثقة بهذه الثقافة، ذلك لأنها لو تصورته مثاليًا خياليًا مستقيما، فنازعته دوافعه ورغباته فعجز عن مقاومتها لأدى ذلك إلى فقدان الثقة بثقافته، حيث إنها لم تراعِ أحواله وتصفها بدقة

وبهذه الواقعية «تميزت الثقافة الإسلامية عن تلك الثقافات التي تعتمد في طرح قضاياها ومسائلها على العقل الصوري المجرد المنعزل عن الواقع، وواقعية الثقافة الإسلامية لا تقف عند الواقع المادي وحده لا تتجاوزه إلى ما سواه، بل تتسع واقعيتها لتشمل الغيب والشهادة العقل والوجدان الروح والمادة، واقع الأرض وواقع السماء، على عكس الثقافة الغربية التي تعطي جل اهتمامها للجانب المادي في الإنسان».

وكنتيجة لذلك فإن واقعية الثقافة الإسلامية تستلزم الثقة بها، كما تشمل مثالية هذه الثقافة نظرًا لتعاملها الواقعي مع القضايا والمستجدات.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©